

أحاديث رمضان ١٤٣٦ - درر ١ . الحلقة السادسة : التعاون .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٥-٠٦-٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

هموم رجال في أمور كثيرة و همي من الدنيا صديق مساعد
نكون كروح بين جسمين فرقا فجسماهما جسمان و الروح واحد

إنه التعاون درة من درر الإسلام ، درة من الأخلاق الإسلامية الفاضلة ، عن أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه قال :

((إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغُرُو ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي
ثُوبٍ وَاحِدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِثْنَاءِ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ))

[البخاري عن أبي كريب ، عن أبي أسامة]

تعالوا لنكن متعاونين كالأشعريين نقتسم
كل ما معنا بيننا بالسوية لنرضي رب
العالمين ، وهلموا بنا إلى هذه الدرة
النافعة من درر الشريعة مع التعاون .
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب
العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ،
أخوتي المشاهدين أينما كنتم أسعد الله
أوقاتكم بالخير واليمن والبركات



والطاعات ، وإلى لقاء جديد ومع درة جديدة من درر الشريعة السمحاء ونحن نلتقطها من بحر
الشريعة الزاخر من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، واسمحوا لي بداية أن أرحب
بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، مرحباً بكم سيدي .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ونفع بكم .

الأستاذ بلال :

حياكم الله ، درة اليوم من درر شريعتنا هي التعاون ، والله تعالى يقول :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[سورة المائدة: ٢]

وقال العلماء : التعاون أن يظاهر المرء أخاه ، ويعينه على فعل الطاعات والخيرات ، من خيرى الدنيا والآخرة ، التعاون فضيلة ، وهنا لا بد لنا بداية أن نبدأ من الآية وننطلق منها :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[سورة المائدة: ٢]

لنتبين مفهوم التعاون الإسلامي الذي يرضي الله ورسوله .

مفهوم التعاون الإسلامي :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين .

أحياناً يخطر في بالي أن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، ألا ترى أن العالم الغربي يتعاون وبين أطرافه خمسة بالمئة قواسم مشتركة ؟

الأستاذ بلال :

صحيح .

الدكتور راتب :

وألا ترى أيضاً أن العالم الإسلامي يتقاتل وبين أطرافه خمسة وتسعون بالمئة قواسم مشتركة ؟

الأستاذ بلال :

مع الأسف نعم .

الدكتور راتب :



الإسلام منهج تفصيلي تعاملي يدخل في كل دقائق الحياة

هذا شيء مؤلم جداً ، فالتعاون دين ، والتعاون حضارة ، والتعاون رقي ، والتعاون مدنية ، والتعاون تفوق ، والتعاون تقدم ، والتعاون قوة ، وتعاونوا ، بالمناسبة أي أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب ، عند عامة الناس وهم خطير ؛ يتوهمون الإسلام عبادات شعائرية فقط صوم وصلاة وحج وزكاة ،

الإسلام منهج تفصيلي تعاملي يبدأ من أخصّ خصوصيات الإنسان من العلاقات الزوجية وينتهي بالعلاقات الدولية ، منهج تفصيلي بكسب المال ، بإنفاق المال ، بالعلاقات الأسرية ، علاقات الأقارب بأوقات الفراغ ، باختيار العمل ، بالتعاون مع الناس ، مع الأقباء ، مع الضعفاء ، مع الأقارب ، منهج تفصيلي ، فكيف اختصر هذا الدين العظيم إلى عبادات شعائرية ؟ وحينما يقول عليه الصلاة والسلام :

((بني الإسلام على خمس))

[البخاري عن عبد الله بن عمر]

لإسلام غير الخمس هذه دعائم ، الإسلام منهج تفصيلي بكسب المال ، بإنفاق المال ، باختيار الزوجة ، بتربية الأولاد ، بالعلاقة مع الأقباء ، مع الضعفاء ، مع الأقارب ، مع الأعداء ، بحركتك اليومية منهج تفصيلي ، فحينما لا ننتبه لهذا المنهج التفصيلي ونتوهم الدين عبادات شعائرية ليس غير هناك حقيقة مرة وخطيرة ، هذه العبادات



الشعائرية لا تقبل وقد لا تصح إلا إذا صحت العبادات التعاملية ، والدليل وقالوا : لولا الدليل لقال من شاء ما شاء .

((يوتى برجال يوم القيامة لهم أعمال كجبال تهامة يجعلها الله هباء منثورا ، قيل يا رسول الله جلهم لنا ؟ قال : إنهم يصلون كما تصلون ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها))

[ابن ماجه عن ثوبان]

انتهت الصلاة :

((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))

[البخاري عن أبي هريرة]

انتهى الصيام :

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾

[سورة التوبة: ٥٣]

انتهت الزكاة :

((من حج بمال حرام فقال : لبيك اللهم لبيك ، قال الله له : لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك))

[الأصبهاني في الترغيب عن أسلم مولى عمر بن الخطاب]

بقي الشهادة :

((من قال لا إله إلا الله بحقها دخل الجنة ، قيل وما حقها ؟ قال : أن تحببه عن محارم الله))

[الترغيب والترهيب عن زيد بن أرقم بسند فيه مقال كبير]

فنحن نتوهم الدين عبادات شعائرية ، العبادات الشعائرية دعائم :

((بني الإسلام على خمس))

[البخاري عن عبد الله بن عمر]

الإسلام منهج تفصيلي :

الإسلام منهج تفصيلي يبدأ من أخص خصوصيات الإنسان وينتهي بالعلاقات الدولية ، فلذلك لا بد من أن ننتبه إلى العبادة التعاملية ، النجاشي سأل سيدنا جعفر ، قال :

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ، فدعانا إلى الله عز وجل لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان ، وأمرنا - الآن ستأتي بذور العبادة التعاملية - وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ...))

[أحمد في مسنده عن أم سلمة أم المؤمنين]



فهذه العبادة التعاملية هي الأصل في الدين ، هذه افعل ولا تفعل ، والدين يدور مع الإنسان بكل حركاته وسكناته، فالعبادة الشعائرية يعني كالمسجد ، تأتي إلى المسجد كي تتلقى التعليمات من الصانع من خلال الخطب ، وكي تقبض الثمن أثناء الصلاة ، تتلقى التعليمات وتقبض الثمن ، الدين هو في البيت : ((خيركم خيركم لأهله...))

[الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

الإنسان أحياناً بعمله يتأنق يتعطر يتلطف بيتسم دائماً لكن أين أخلاقه الحقيقية ؟ في البيت :

((خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ...))

[الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

فالإنسان عندما يفهم الدين فهماً عميقاً صار الدين في بيته ، في حرفته ، في دكانه ، في شركته في عطائه ، في منعه ، في رضاه ، في غضبه ، في وصله ، في قطعه ، الدين منهج تفصيلي يدور مع الإنسان في كل أوقات حياته ، وكل مناسط حياته .
الأستاذ بلال :

بارك الله بكم هذا محورنا الأول ، لو انتقلنا إلى محور ثان ، ونعود إلى الآية :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[سورة المائدة: ٢]

وفي لقاء سابق بينتم أننا مأمورون بالتعاون على البر وهو صلاح أمر الدنيا والتقوى وهي صلاح أمر الآخرة ، لكن لو أكملنا الآية فيها نهي :

﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا ﴾

[سورة المائدة: ٢]

أي مطلوب التعاون في شيء ومنهي عن التعاون في الإثم والعدوان ، فما المنهي عنه في التعاون ؟

المنهي عنه في التعاون :

الدكتور راتب :

الحقيقة الإثم أن يعصي الإنسان ربه ، وقع في إثم المعصية ، والعدوان أن يؤدي غيره ، كأنه بالمعصية يؤدي نفسه ، وبالعدوان يؤدي غيره ، والإيذاء ممنوع وهو على الذات أو على الآخر :

﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾

[سورة المائدة: ٢]

هناك مشاريع كثيرة من نتائجها إفساد الأخلاق ، مشاريع من نتائجها إضعاف الأسرة ، إضعاف الود الأسري ، فأى مشروع يضعف مركز الأسرة ، يضعف سلامة الإنسان هذا فساد ، أن تغير طبيعة النفس ، ماء فاسد له طعم له رائحة فيه جراثيم ، أما الماء الذي ينبغي أن نشربه فهو الماء في شفافيته لا طعم ولا رائحة ونقي من كل شائبة ،



الفساد تغير طبيعة النفس ، فذلك :

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة الروم: ٤١]



الأستاذ بلال :

أي كل ما يؤدي إلى الفساد أو الإفساد فهو إثم وعدوان .

الدكتور راتب :

الفساد خروج الشيء عن طبيعته ، أوضح شيء الماء لا لون له ، لا طعم له ، لا رائحة له ، هذا هو الماء ، فإن كان له لون أو طعم أو رائحة فسد ، الابن ، الابنة ، الشاب ، الشابة ، ما دام على الفطرة ينصاع لمنهج الله شيء رائع جداً ، هذا عند الأب والأم قرّة العين :

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾

[سورة الفرقان: ٧٤]

أما إذا فسد الأبن والفتاة فسدت فانتهى المجتمع .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهب أخلاقهم ذهبوا

* * *

فإن فسدت أخلاقهم فسدوا .

الأستاذ بلال :

بارك الله بكم سيدي إذاً :

﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

[سورة المائدة: ٢]

بعض الناس قد يتعاونون في أمر محرم ويقول لك : هذا الأمر يؤدي إلى خير ، يقول مثلاً : نقيم حفلاً خيرياً وفيه معصية ولكنه حفل خيرى .

للأهداف النبيلة وسائل نبيلة :

الدكتور راتب :

حفل غنائى ترصد أرباحه لمشروع خيرى .

الأستاذ بلال :
 نعم هذا ما يفعله بعض الناس وهذا ليس
 من التعاون المحمود أبداً .
 الدكتور راتب :
 الجواب : الأهداف النبيلة لا يمكن إلا
 أن تكون لها وسائل نبيلة ، أي يجب أن
 تكون الوسائل من جنس الأهداف .



الأستاذ بلال :
 خالصاً وصواباً .
 الدكتور راتب :
 أبداً :

﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ ﴾

[سورة النمل: ١٩]



قال العلماء يجب أن يكون خالصاً
 وصواباً ، خالصاً ما ابتغي به وجه الله،
 وصواباً ما وافق السنة ، فإذا كان
 صواباً لكن ما كان مخلصاً لا يقبل ،
 وإذا كان مخلصاً وغير صائب فلا يقبل،
 فهناك مئات الأعمال الصالحة الآن إما
 أنها افتقرت إلى الصواب أو إلى
 الإخلاص ، العمل الصالح الذي يقبله
 الله :

﴿ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ ﴾

[سورة النمل الآية: ١٩]

وقف المفسرون عند هذه الآية ، ترضاه متى ؟ إذا كان خالصاً ابتغي به وجه الله، وصواباً وافق
 السنة .

الأستاذ بلال :

بارك الله بكم ، لو انتقلنا إلى محورنا الأخير وهو أن ننتقل إلى هذه الفضيلة ونجعلها في حياتنا ، وهنا يحضرني أن الدعوة إلى الله إن تعاونوا ووجد الناس منهم ذلك التعاون فإن هذا يؤدي إلى جيل أو إلى أمة متعاونة ، فهل نحتاج في الدعوة إلى الله إلى التعاون ؟

حاجة الدعوة إلى الله إلى التعاون :

الدكتور راتب :

أنا أرى أن الدعوة إلى الله دعوتان ؛ دعوة إلى الله خالصة ، ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله ، أما الدعوة إلى الله الخالصة فأساسها الاتباع ، والدعوة إلى الذات أساسها الابتداع ، اتبع لا تتبدع ، اتضع لا ترتفع ، الورع لا يتسع

الدعوة إلى الله الخالصة أساسها التعاون بين الدعاة ، أما الدعوة إلى الذات فأساسها التنافس ، الدعوة إلى الله الخالصة أساسها الاعتراف بالآخر ، أما الدعوة إلى الذات فأساسها هو إلغاء الآخر .

فأنا حينما أتبع لا أبتدع ، وأتعاون لا أتتنافس ، وأقبل بالآخر لا أرفضه ، فأنا على منهج الله ورسوله .



الدعوة المخلصة إلى الله أساسها التعاون وليس التنافس بين الدعاة

وبهذا يرتقي الدعاة إلى الله عند الله ، وعند الناس ، أما إذا لم يتعاونوا وتبادلوا التهم فيما بينهم أنا أرى - والكلام مؤلم جداً - سقطوا من عين الله جميعاً ، ومن عين الناس .

الأستاذ بلال :

الغرب سيدي يطرح مفهوم فريق العمل ، وهذا المفهوم في الأصل مفهوم إسلامي كما رأينا من خلال التعاون ، هل نحن بحاجة إلى فريق العمل ؟

حاجة المسلمين إلى فريق العمل :

الدكتور راتب :

والله نحن في أمس الحاجة له ، لعلي أنا أرى أن أحد أسباب قوة الغرب نظام فريق العمل ، فريق العمل في تعاون ،

التعاون



العمل الجماعي وفريق العمل أحد أسباب قوة الغرب

فريق العمل في اختصاص قيل : تعلم كل شيء عن شيء - اختصاص - وشيء عن كل شيء - ثقافة عامة - فأنا حينما يكون هناك فريق عمل كل واحد استلم جانباً ، وكل واحد بذل أقصى جهده في هذا الجانب ، ونجح بهذا الجانب ، النجاح صار شمولياً ، والآن المفهومات الحديثة لا يوجد نجاح جزئي

لا يسمى النجاح نجاحاً إلا إذا كان شمولياً ولو عممناها على واقعنا يجب أن نتجح مع الله ، وأن نتجح في بيتك ، وفي عملك ، ومع من حولك ، ومع الأقوياء ، ومع الضعفاء ، لا يسمى نجاحاً إلا إذا كان شمولياً ، بل التسمية الدقيقة له : فلاح ، أنت حينما تحقق الهدف الذي جئت للدنيا من أجله ، فأنت فلاح :



﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

[سورة الأعراف : ١٥٧]

أما النجاح الجزئي بجانب من جوانب حياتنا فيسمى نجاحاً ، والنجاح الحقيقي يجب أن يكون شمولياً إذاً هو الفلاح .
الأستاذ بلال :
وهذا النجاح الشمولي يحتاج إلى التعاون .

التعاون حضارة و فضيلة و طاعة لله :



الدكتور راتب :

التعاون حضارة ، فضيلة ، طاعة لله ، قوة ، هذه أساسها المواطنة .

الأستاذ بلال :

النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ضربوا بذلك أروع الأمثلة ، كان النبي في مهنة أهله ، يكون مع أهله ، وكان في الخندق يحفر مع أصحابه ، هذا هو فريق العمل .

التعاون

الدكتور راتب :

حتى مفهوم المواطنة مفهوم إسلامي ، حينما دخل النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة في أول خطاب له قال : " أهل يثرب أمة واحدة ، سلمهم واحد ، وحربهم واحدة " وهذا أول مفهوم مواطنة في الإسلام ، هذا مفهوم حضارة ، ومفهوم قوة ، والعالم لا يصلح إلا بالمواطنة .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

سيدي نحن مأمورون بالتعاون ، والتعاون فضيلة ، والتعاون أمر إلهي ، وينبغي أن نسعى جميعاً لنكون صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، يشد بعضه بعضاً .
بارك الله بكم سيدي ، أخوتي المشاهدين بارك الله بكم ، أشكر لكم حسن المتابعة، وحتى نلتقيكم في درة جديدة من درر الشريعة الغراء ، أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين